التقديم والتأخير في الجملة الخبرية

دراسة اسلوبية

" سورة البقرة نموذجا "

دكتور

ربيع محمد عبد العزيز

استاذ مساعد بقسم النقد والبلاغة

والآدب المقارن

كلية دار العلوم – جامعة الفيوم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التقديم والتأخير فى الجملة الخبرية
دراسة أسلوبية
" سورة البقرة نموذجا "

دكتور ربيع محمد عبد العزيز
أستاذ مساعد بقسم النقد والبلاغة والأدب المقارن
كلية دار العلوم - جامعة الفيوم

تمهيد :

أولى علماء العرب في القديم [1] ، والدارسون المحدثون [2] ، مبحث التقديم والتأخير ، من الاهتمام ما يشف عن وعيهم بما يضفيه على المعنى من دقة ، وعلى العبارة من حسن ، وعلى التلقى من لذة .

وكانت المهاد الأولى ملاحظات سجلها الرواد الأوائل بهدف " تأكيد مثالية العبارة من زاوية نحوية فى المقام الأول ، بالكشف عن المواضع التى كان حقها التقديم وتلك التى

١- انظر :
- عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص ١٠٦ : ١٤٥ ، تحقيق : محمود شاكر ، ط : المدنى ، القاهرة، د-ت .
- ابن الأثير ، المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ٢/ ٢١٠: ٢٢٧ ، تحقيق : د. أحمد الحوفى، د. بدوى طبانة ، ط: نهضة مصر ، القاهرة ، د- ت .
- الطوفى ، الأكسير فى علم التفسير ، ص ١٥٤ : ١٦٩ ، تحقيق : د. عبد القادر حسين ، ط: مكتبة الآداب ، القاهرة ، د-ت .

٢- انظر :
- د. محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية قراءة أخرى ، ص ٢٣٥ : ٢٦٠ ، ط : الأولى ، لونجمان، القاهرة ، ١٩٩٧ م .
- د. محمد محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ص ١٧٠ : ١٨٤ ، ط : الثانية ، مكتبة وهبة، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .
- د. توفيق الفيل ، بلاغة التراكيب ، ص ١١٥ : ١٤٠ ، ط: مكتبة الآداب ، القاهرة ، د-ت .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان حقها أن تتأخر ، نجد من ذلك حديثا للخليل ، فى بحث الابتداء ، عن تقديم من النوع الذى عرف فيما بعد بأنه تقديم على نية التأخير "[1].

ولم تقتصر ملاحظات أوائل الرواد على الزاوية النحوية للتقديم والتأخير، بل اتجهت - على استحياء - إلى الزاوية الفنية ؛ فتحدث أبو عبيدة " ت نحو ٢١٠هـ " عن مجاز المقدم والمؤخر ، وأدرج ابن قتيبة " ت نحو ٢٧٦ هـ" التقديم والتأخير ضمن أسلوب القلب ، الذى هو من المجاز أيضا[2]. ثم جاء عبد القاهر "ت نحو ٤٧١هـ " ليحدث فى التقديم والتأخير نقلة نوعية تجاوز بها موروث الأوائل إلى أمد بعيد .

وعكف البلاغيون على تنظيم البحث فى التقديم والتأخير ، فميزوا بين التقديم فى الجملة الإنشائية والتقديم فى الجملة الخبرية ، وقسموا التقديم فى الجملة الخبرية إلى تقديم المسند إليه ، وتقديم المسند ، وتقديم المتعلقات . وتجاوزوا فكرة سيبويه "ت نحو ١٨٠هـ" عن الاهتمام بالمقدم والعناية بأمره ، إلى استخلاص نواتج دلالية أخرى ؛ كالاختصاص ، وإزالة الالتباس الدلالى ، وتقوية الحكم وتأكيده ، والتلذذ بذكر المقدم ، وتعجيل المسرة أو المساءة . كما فطنوا إلى الظواهر الإيقاعية التى تصاحب بعض النواتج الدلالية لتقديم المقدم وتأخير المؤخر ؛ كالاتساق بين الفواصل ، وتناسق الأسجاع فى المنثور ، ورد الأعجاز على الصدور فى المنظوم ، إلى غير ذلك من الظواهر الإيقاعية .

وكما استخلصوا الشواهد الدالة على الدور الإيجابى للتقديم والتأخير ، استخلصوا الشواهد الدالة على دوره فى خفاء المعنى والتواء العبارة عنه ؛ كقول الفرزدق " ت نحو ١١٠ هـ " يمدح الوليد بن عبد الملك :[3]

١- د. عبد الحكيم راضى ، نظرية اللغة فى النقد العربى ، ص٣٣٨ ، ط: الخانجى ، القاهرة ، د-ت.

٢- انظر ، أبو عبيدة ، مجاز القرآن ١٩/١ ، تحقيق : د. محمد فؤاد سزكين ، ط : الخانجي ، القاهرة ، د- ت . ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص ١٩٣ : ٢٠٩ ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، ط : الثانية ، دار التراث ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

٣- انظر : المرزبانى ، الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء ، ص ٥٥ ، ١٤٢ ، تحقيق : على محمد البجاوى ، ط: دار الفكر العربى ، القاهرة ، د - ت . ابن الأثير ، المثل السائر ٢٢١/٢ . ابن النقيب ، مقدمة فى تفسير ابن النقيب ، ص ١٧٢ ، تحقيق : د. زكريا سعيد على ، ط: الأولى، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، د-ت .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى ملك ما أمُّهُ من محـــاربٍ أبوه ولا كانت كليبُ تُصاهِرُهْ

يريد : إلى ملك ليست جدته لأبيه من محارب ، لكن وفاءه بمتطلبات الصحة العروضـية جعله يقدم خبر الأب عليه ، وهو جملة [1] ، ويعاظل معاظلة تحيف على المعنى ، وتعقد العبارة عنه ، وتربك الأفهام ، وتفقد التلقى بعض بهجته .

وعني بعض البلاغيين القدماء بالنظر إلى الكلمة إذ تتقدم فى آية وتتأخر فى آيـة أخرى [2]، ونوعوا هذا النمط من التقديم والتأخير أنواعا ؛ كالتقـديم باعتبـار الزمـان ، والتقديم باعتبار الشرف ، والتقديم باعتبار المكان ، وتقديم الأعجب فالأعجب ، إلى غير ذلك من الأنواع التى أفاض الزركشى "ت نحو ٧٩٤ هـ" والسيوطى " ت نحو ٩١١هـ" فى الحديث عنها [3]، والتى سوف أشير – لاحقا – إلى نماذج مما ورد منها فى سورة البقرة.

وحول جماليات التقديم والتأخير ، ووجوده فى القرآن الكريم ، وصلته بالمجـاز، تباينت مواقف العلماء ؛ أما جمالياته فقد قلل منها فريق من العلماء ؛ كابن المدبر "ت نحو ٢٧٩ هـ" ، وابن طباطبا "ت نحو ٣٢٢ هـ"، والسيرافى "ت نحو ٣٦٨ هـ " وغيـرهم ممن حذروا الكتاب من الغثاثة التى يضفيها تقديم المؤخر وتأخير المقدم على نتاجهم[4]!

١- انظر :

– ابن جنى ، الخصائص ٣٩٤/٢ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، العدد ١٤٧، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ- ١٩٥٥م .

– مقدمة تفسير ابن النقيب ، ص ١٧٢ .

٢- كتقديم الآخرة على الأولى فى قوله تعالى : " فلله الآخرة والأولى " . النجم : الآيـة ٢٥ . وتقـديم الأولى وتأخير الآخرة فى قوله تعالى : وله الحمد فى الأولى والآخرة . القصص : آية ٧٠ .

٣- انظر :

– الزركشى ، البرهان فى علوم القرآن ٣/ ٢٣٣ : ٢٦٠ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط: الثانية ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، د- ت .

– السيوطى ، الإتقان فى علوم القرآن ٣٥/٣ : ٤١ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط: المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

٤- انظر :

– ابن المدبر، الرسالة العذراء "ضمن رسائل البلغاء" لمحمد كرد على ، ص ٦٩، ط : الثالثة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٦ م .

=

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأرجع العتابى " ت نحو ٢٢٠ هـ " فساد الصورة وتغيير المعنى إلى التقديم والتأخير ، يؤكد ذلك قوله : " الألفاظ أجساد ، والمعانى أرواح ، وإنما نراها بعيون القلوب ، فإذا قدمت منها مؤخرا ، أو أخرت منها مقدما ، أفسدت الصورة وغيرت المعنى ، كما لو حول رأس إلى موضع يد .. واعلم .. أن الذى ينبغى فى صنعة الكلام وضع كل شيء منه فى موضعه ليخرج بذلك من سوء النظم " (١).

ودعا ابن سنان "ت نحو ٤٦٦ هـ" إلى أن توضع الألفاظ فى مواضعها ، ونهى صراحة عن اللجوء إلى التقديم والتأخير ، بدا ذلك واضحا فى قوله : " فمن وضع الألفاظ مواضعها ألا يكون فى الكلام تقديم وتأخير ، حتى يؤدى ذلك إلى فساد معناه وإعرابه فى بعض المواضع ، أو سلوك الضرورات حتى يفصل فيه بين ما يقبح فصله فى لغة العرب؛ كالصلة والموصول ، وما أشبههما " (٢).

وخلافا لأنصار الموقف الآنف ، نجد عبد القاهر " ت نحو ٤٧١هـ " ، وضياء الدين بن الأثير " ت نحو ٦٣٧ هـ" ، والزركشى " ت نحو ٧٩٤ هـ" ، ينظرون بتقدير كبير إلى جماليات التقديم والتأخير ؛ فقد وصفه عبد القاهر بأنه باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعة ، ويفضى بك إلى لطيفة . ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ، أن قدم فيه شيء ، وحُوِّل اللفظ عن مكانه (٣). بل لقد سخر

= - ابن طباطبا ، عيار الشعر ، ص ٦٧ ، ٧٢ ، ٧٦ ، تحقيق : د. محمد زغلول سلام ، ط: منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د- ت .

- السيرافى ، ضرورة الشعر ، ص ١٧٣ ، تحقيق : د. رمضان عبد التواب ، ط: الأولى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

١- أبو هلال العسكرى ، الصناعتين : الكتابة والشعر ، ص ١٧٩ ، تحقيق : د. مفيد قميحة ، ط: الثانية، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٢- ابن سنان ، سر الفصاحة ، ص ١١١ ، ط : الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م .

٣- انظر : عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص ١٠٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عبد القاهر ممن هونوا أمر التقديم والتأخير ، ورأوا فى تتبعه والنظر فيه ضربا من التكلف[١] ، وأضاف : " ولم تر ظنا أزرى على صاحبه من هذا وشبهه "[٢] .

ولئن ألمح عبد القاهر إلى ما يتركه التقديم والتأخير ،فى نفس المتلقى ، من أثر إيجابى ، فقد نوه ضياء الدين بما فيه من " أسرار دقيقة "[٣] ، كما نوه الزركشى – متابعا عبد القاهر – بموقعه الحسن ومذاقه العذب عند المتلقى ، ثم أضاف ناعتا من يتعاطاه من الأدباء بالتمكن فى الفصاحة [٤].

وحول مسألة وجود التقديم والتأخير فى القرآن الكريم نجد أبا حيان " ت نحو ٧٤٥هـ " ينكر أن يكون فى القرآن الكريم لفظ تقدم على رتبته أو تأخر عنها . وهو يؤسس موقفه الرافض انطلاقا من أن التقديم والتأخير من الضرائر التى تقع فى كلام البشر ، والتى ينبغى تنزيه القرآن عنها ، هذا إلى اعتقاده بأن وجود التقديم والتأخير فى القرآن من شأنه أن يفكك نظمه ، وأن يذهب بحلاوته [٥].

وعلى النقيض من موقف أبى حيان نجد علماء، من مثل عكرمة "ت نحو ١٠٧هـ"، وقتادة " ت نحو ١١٧ هـ" ، وابن الصائغ " ت نحو ٨٧٦ هـ" ، يعترفون بما فى القرآن الكريم من تقديم وتأخير [٦] . ونقل ابن العربى " ت نحو ٤٢٣ هـ " عن الطبرى " ت نحو ٣١٠ هـ " أن التقديم والتأخير كثير فى القرآن [٧] . كما حمل ابن تيمية "ت نحو ٧٢٨ هـ"على منكرى التقديم والتأخير فى القرآن ، ونعتهم بعدم المعرفة بلغة العرب [٨].

١- انظر : عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص ١٠٦ .

٢- السابق : ص ١٠٦ .

٣- انظر : ضياء الدين ، المثل السائر ٢/٢١٠ .

٤- انظر : الزركشى ، البرهان ٣/٢٣٣ .

٥- انظر : أبو حيان ، البحر المحيط ١/٢٠ ، ٧/١٨٠ ، ط : مطابع النصر الحديثة ، الرياض ،د-ت.

٦- انظر : السيوطى ، الإتقان ٣/٣٣ : ٣٤ .

٧- ابن العربى ، أحكام القرآن ١/١٣٩ ، تحقيق : على محمد البجاوى ، ط: عيسى البابى الحلبى ، القاهرة ، د- ت .

٨- انظر : ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ٣١/١٦٢ ، تحقيق : عبد الرحيم بن قاسم وابنه محمد ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، د – ت .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأما صلة التقديم والتأخير بالمجاز فقد أجازها ابن قتيبة حين أدرج في باب المقلوب تقديم ما يوضحه التأخير ، وتأخير ما يوضحه التقديم [1]. وعرَّف ابن فارس "ت نحو ٣٩٥ هـ" الحقيقة اللغوية بما يدل على أنه ينظر إلى التقديم والتأخير بوصفه ضربا من المجاز ؛ فالحقيقة في نظره هي " الكلام الموضوع موضعه ، الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ، ولا تقديم فيه ولا تأخير " [2]، ومن ثم فإخراجه التقديم والتأخير من باب الحقائق إدخال له في باب المجازات .

وخلافا لمذهب ابن قتيبة وابن فارس ، أنكر الزركشي أن يكون للتقديم والتأخير بالمجاز ثمة علاقة ، وأكد أن المجاز ليس نقلا من الرتب ، وإنما هو نقل مما وضع له اللفظ إلى ما لم يوضع له .[3]

وإذ قد فرغنا من عرض تباين مواقف العلماء من التقديم والتأخير : جمالياته ، ووجوده في القرآن الكريم ، وصلته بالمجاز ، نجد موقف العتابي ، وابن المدبر، وابن طباطبا ، والسيرافي ، وابن سنان ، متسماً بعدم الدقة ؛ فليس صحيحا أن التقديم والتأخير يصيب بالغثاثة نتاج الأدباء ، بل الصحيح أن الأديب الذي يرهف إحساسه بمواقع الكلمات، والذي يسيطر على لغته ، يستطيع أن يسخره لا في البوح بأدق أفكاره ومختلف خواطره فحسب ، بل في وضع بصمته على أسلوبه ، وفي " ابتداع مستويات من التراكيب تجدد تجربة المتلقي بالنص ونسيجه المستحدث ، وتنشئ بين الكلمات ألفة جديدة تنقلها من سياقها التركيبي المألوف إلى سياق مغاير يتم فيه إعادة انتظام الجمل بشكل يلفت القارئ.." [4]

١- انظر : ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص ١٩٣ : ٢٠٩ .

٢- انظر : ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ، ص ١٩٧ ، تحقيق : مصطفى الشريمي ، ط : مؤسسة بدران ، بيروت ، ١٩٦٣ م .

٣- انظر : الزركشي ، البرهان ٣/ ٢٣٣ .

٤- انظر : د. خيرة حمر العين ، شعرية الانزياح : دراسة في جماليات العدول ص ٣٨ : ٣٩ ، ط: الأولى ، مؤسسة حماد للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ، إربد ، ٢٠٠١ م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا أصيب الأدب بالغثاثة فذلك راجع ، لا إلى التقديم والتأخير ، بل إلى عدم تمكن الأديب من اللغة ، وضعف إحساسه بمواقع الكلمات ، وتكلفه فى الحس والعبارة . الأديب المتمكن من لغته يدرك برهافة حسه أنه ما من تغيير فى مواقع الكلمات إلا ويترتب عليه تغير الدلالة وانتقالها من مستوى إلى مستوى آخر[1].بهذا التمكن ، وهذه الرهافة ينجو نتاجه من الغثاثة ،ويرتقى أسلوبه إلى مستوى أصحاب الأساليب الأدبية الرفيعة.

إن الكلمات لو تجمدت فى مواقعها ، واستعصت على التحريك الأفقى تقديما أو تأخيراً ، لكان ذلك عيبا فى اللغة ، وعجزا قاهرا فى اللسان يحبس أنبل ما تشعر به النفس الإنسانية من حس دقيق ، واختلاجة خفية لا سبيل إلى أن تركب متن الكلمة ، وأن تبتلعها فى داخلها وتفصح عنها فى الأداء[2]. وإلى شيءٍ مما سبق لم يلتفت العتابى، وابن المدبر، وابن طباطبا ، والسيرافى ، وابن سنان !

وما ذهب إليه أبو حيان من أن التقديم والتأخير من الضرورات التى يتنزه عنها القرآن الكريم ، يعد رأياً مشوباً بالخلل ، ويكفى لبيان خلله أن ننظر إلى قوله تعالى : " وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله "[3] ، وسوف نلاحظ أن تقديم " من آل فرعون " صان الدلالة من الالتباس ، وأن الصياغة القرآنية لو جاءت على أصل المواضعة المكانية لكانت على النحو التالى : **"وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون"** ، وهنا يكون الناتج الدلالى بعيدا عن المستهدف ، ويكون المعنى أن الرجل من غير آل فرعون ، لكنه يكتم إيمانه خوفا منهم ، وما إلى هذا المعنى تقصد الآية الكريمة . وإذن فلا سبيل إلى بلوغ المستهدف المقصود إلا بتقديم " **من آل فرعون** " [4].

١- انظر :د. محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ، ص ٢٥٠ ، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٨٤ م .

٢- انظر : د. محمد محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ص ١٧١ .

٣- غافر : آية ٢٨ .

٤- انظر : د. محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية قراءة أخرى ، ص ٢٤٩ : ٢٥٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولو خلا القرآن الكريم من التقديم والتأخير لكان الجاهليون أول المبادرين إلى اتهامه بالنقص – تعالى كلام الله عن أى نقص – على أساس أن التقديم والتأخير كان معروفا فيما أنتج عصرهم من روائع شعرية ، وأنه كان طابعا مميزا للعبارة الشعرية فى شعر شعرائهم ، وأن القرآن يتحداهم فيما كانوا فيه يبرعون .

ومع تقديرنا لغيرة أبى حيان الدينية إلا أنه لو تأنى قبل أن يصدر حكمه بتنزيه القرآن عن التقديم والتأخير ، لأدرك أن الجملة القرآنية " بناء قد أحكمت لبناته ، ونسقت أدق تنسيق ،لا تحس فيها بكلمة تضيق بمكانها.. أو لا تتعايش مع أخواتها ، حتى صار .. من المستحيل أن تغير فى الجملة كلمة بكلمة كأنما لم يخلق الله سبحانه لأداء تلك المعانى غير هذه الألفاظ " [1]. وإذن فلا صحة لما يقال من أن التقديم والتأخير يفكك نظم القرآن ويذهب بحلاوته .

ولتفنيد ما ذهب إليه ابن قتيبة وابن فارس من أن التقديم والتأخير ضرب من المجاز ، يكفى القول بأنه لا مجاز بغير علاقة وقرينة ، والتحريك الأفقى للدوال بالتقديم والتأخير يتم دون علاقة أو قرينة ؛ ولهذا كان الزركشى أبعد نظرا فى إلحاحه على الفصل بين ما هو من المجاز ، وما هو من التقديم والتأخير .

أيا كان الأمر فقد أثمرت جهود القدامى ، فى دراسة التقديم والتأخير ، عن نتائج جديرة بالتقدير ، وأخرى تمس الحاجة إلى مراجعتها . ومما تمس الحاجة إلى مراجعته أن " المفعول إذا تقدم لزم الاختصاص " [2] ، وأن فائدة تقديم الجار والمجرور تقتصر على الاختصاص والمشاكلة بين رءوس الآى [3]، وأن فائدة التقديم والتأخير ، على اختلاف ضروبه ، تنحصر في الاهتمام والاختصاص ومراعاة نظم الكلام [4].

١- د. منير سلطان ، بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، ص ١٠٧، ط : منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د- ت .

٢- العلوى ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٦٦/٢ ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوى ، ط : الأولى ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

٣- السابق ٢ /٤٠ .

٤- ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر ٢١١/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد اتخذت هذه الدراسة من سورة البقرة ميدانا لها ؛ لأنها أكبر سور القرآن الكريم ، ومن ثم فهى زاخرة بالشواهد التى يمكن استخلاصها ، والتى تعزز صحة بعض ما تقرر سلفا ، وتصوب أخطاء بعض القواعد التى أرساها الأوائل ، وتضيف إلى الشواهد المكرورة جديدا يكسر نمطية الاستشهاد .

فى سورة البقرة العديد من أنواع التقديم والتأخير ؛ كالتقديم بالسبق فى مثل قوله تعالى : " وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ... " [١] ؛ فإبراهيم عليه السلام إنما تقدم ، على من جاء من الأنبياء بعده ، لكونه أسبقهم زمنا ، وعلى هذا الأساس تتابع ذكر الأنبياء من بعده . ومثله تقديم السِّنة على النوم فى قوله تعالى : " لا تأخذه سنة ولا نوم " [٢] .

وهناك تقديم بالشرف ؛ كما فى قوله تعالى : " الحر بالحر والعبد بالعبد "[٣] . ومثله تقديم القلب على السمع والبصر فى قوله تعالى : " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة " [٤] ؛ لأن الحواس تقوم على خدمة القلب وتوصل إليه ، وهو المقصود . ثم قدم السمع على البصر ؛ لأن السمع أشرف ، ولشرفه جاءت الصفة سميع سابقة على الصفة عليم فى الكثير من آيات سورة البقرة .[٥]

ومنه تقديم جبريل على ميكائيل فى قوله تعالى : "من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين " [٦] ؛ ذلك أن جبريل صاحب الوحى والقلم، وميكائيل صاحب الأرزاق ، والخيرات النفسانية أفضل من الخيرات الجسمانية.[٧]

١- البقرة : آية ١٣٦ .

٢- البقرة : آية ٢٥٥ . السيوطى ، الإتقان ٣٨/٣ .

٣- البقرة : آية ١٧٨ . السيوطى ، الإتقان ٣ /٣٥ .

٤- البقرة : آية ٧ . السيوطى ، الإتقان ٣٥/٣ .

٥- انظر : البقرة ، الآيات : ١٢٧، ١٣٧، ١٨١، ٢٢٤، ٢٢٧ ، ٢٤٤، ٢٥٦ . السيوطى ، الإتقان ٣٥/٣ : ٣٦ .

٦- البقرة : آية ٩٨ .

٧- انظر : الزركشى ، البرهان ٢٥٦/٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وثمة تقديم باعتبار السبب ؛ كتقديم العليم على الحكيم فى قوله تعالى : " قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم " [١]؛ لأن الإحكام لابد أن ينشأ عن العلم . ومنه تقديم التوبة على الطهارة فى قوله تعالى : " إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين "[٢] ، وإنما تقدمت التوبة لكونها سببا فى الطهارة . وكذلك تقديم العزيز على الحكيم فى قوله تعالى : " فاعلموا أن الله عزيز حكيم " [٣] ، وبدهى أن الله عز فحكم .

وثمة تقديم لعظم المقدم والاهتمام به ؛ كتقديم الصلاة على الزكاة فى نحو قوله تعالى : " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة .. " [٤] ، فبدأ بالصلاة لأنها أهم ، وفى صلاحها صلاح أعمال المسلم كلها ، وهى أول ما يحاسب عليه المسلم بعد مماته .

ونجد الكلمة تتقدم فى آية ، وتتأخر فى آية أخرى ؛ كتقديم الشفاعة وتأخير العدل فى قوله تعالى : " واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون " [٥] ، وتقديم العدل وتأخير الشفاعة فى قوله تعالى : " واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون " [٦] ؛ فمن كان ميله إلى حب المال أشد من ميله إلى علو النفس فإنه يقدم التمسك بالشافعين على إعطاء الفدية ، ومن كان بالعكس يقدم الفدية على الشفاعة ، ففائدة تغيير الترتيب الإشارة إلى هذين الصنفين .[٧]

ومنه تقديم كلمة بصير فى قوله تعالى : " والله بصير بما يعملون "[٨] ، وتأخيرها

١- البقرة : آية ٣٢ .

٢- البقرة : آية ٢٢٢ .

٣- البقرة : آية ٢٠٩ . وكذلك الآية ٢٢٨ . وأما تقديم صفة الحكيم على العليم فى سورة الأنعام [الآيات : ٨٣، ١٢٨، ١٣٩] فلأنه مقام تشريع الأحكام . انظر : السيوطى ، الإتقان ٣٩/٣ .

٤- البقرة : آية ٤٣ .

٥- البقرة : آية ٤٨ .

٦- البقرة : آية ١٢٣ .

٧- انظر : تفسير الفخر الرازى ٨/٣ . الألوسى ، روح المعانى ٢٥٢/١ ، ط: دار إحياء التراث العربى، بيروت ، ١٩٩٩ م .

٨- البقرة : آية ٩٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فى قوله تعالى : " إن الله بما تعملون بصير .. "[1].إلى غير ذلك من أنواع التقديم والتأخير[2] التى يخرج استقصاؤها عن أهداف الدراسة .

وتنصب هذه الدراسة على التقديم والتأخير فى الجملة الخبرية ، من خلال ثلاثة محاور : تقديم المسند إليه ، وتقديم المسند ، ثم تقديم المتعلقات .

تقديم المسند إليه :

المسند إليه هو الفاعل وما ينوب عنه فى الجملة الفعلية ، أما فى الجملة الاسمية فهو المبتدأ الذى له خبر ، أو ما كان أصله المبتدأ ؛ كاسم كان ، واسم إن ، والمفعول الأول للفعل ظن ، والمفعول الثانى للفعل رأى .

ويأتى المسند إليه ، فى سورة البقرة – أو فى غيرها من النتاج الأدبى – مثبتا تارة ، ومنفيا تارة أخرى . وإذ يتقدم على مسنده لا يتقدم اعتباطا ، بل لتحقيق نواتج دلالية يترتب على تحقيقها – أحيانا – اتساق بين فواصل الآى .

وتعد المبادرة إلى تعظيم المسند إليه أحد النواتج الدلالية المستهدفة من جراء تقديمه ، يبدو ذلك فى مثل قوله تعالى : " الله لا إله إلا هو الحى القيوم " [3] . وما يفيده وجود المسند إليه ، فى صدارة الجملة ، من مبادرة المتلقى إلى تعظيمه ، لا يستفاد لو جاءت الآية على النحو التالي : " لا إله إلا الله هو الحى القيوم " .

ومن مقاصد تقديم المسند إليه المبادرة إلى تحقيره ؛كما فى قوله تعالى :" الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء " [4] . المقام فى الآية مقام وعيد وإنذار ؛ وعيد من مغبة الوعود الشيطانية ، وإنذار من الاستسلام لأوامر محرضة على ما يغضب الله . والمستهدف هو حمل المتلقى على أن يبادر إلى احتقار وعود الشيطان وأوامره ، ولكى

١- البقرة : آية ٢٣٧ .

٢- أحصى السيوطي – نقلا عن ابن الصائغ – عشرة أنواع من التقديم والتأخير ، وأشار إلى أن آخرين ذكروا أسبابا أخرى . انظر ، الإتقان ٣/٤٠ : ٤١ .

٣- البقرة : آية ٢٥٥ .

٤- البقرة : آية ٢٦٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتحقق هذا المستهدف لم يكن بد من جعل المسند إليه " الشيطان " فى صدر الجملة الخبرية . ولئن كان الوعيد والإنذار يستحضران المتلقى بوصفه أحد طرفى الاتصال ، فلاشك أن للمبدع حضوره فى تحقيق المستهدف الدلالى ، وله قصده فى إخافة المتلقى وبعثه على احتقار وعود الشيطان وأوامره .

وقد يتقدم المسند إليه المثبت ، على خبره الفعلى ، تعجيلا للمسرة ؛ فالمتلقى الذى راعه تقدم المسند إليه فى قوله تعالى : " الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء " يغدو فى أمس الحاجة إلى ما يحيل فزعه أمنا ، ويبعث فى نفسه السرور ؛ لذلك تقدم المسند إليه فى قوله تعالى : "والله يعدكم مغفرة منه وفضلا "[1] . فزع يعقبه وعد مضمون يبعث فى النفس تفاؤلاً وطمأنينة ، أما لو جاءت الصياغة القرآنية على النحو التالي : " يعدكم الله مغفرة منه وفضلا " فليس ثمة تعجيل بالمسرة ، بل إن الطمأنينة تخبو ، والتردد يتسرب إلى الذهن . ومع أن للمتلقى حضوراً كبيراً فى التشكيل البلاغى، فإن حضوره لا يلغى قصد المبدع إلى إنتاج هذا المعنى .

ولتأكيد الحكم وتقويته تقدم المسند إليه فى مثل قوله تعالى : " وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ، إنما نحن مستهزئون ، الله يستهزى بهم .. ".[2]

إن حالة التذبذب والخداع ، التى كان عليها المنافقون ، تقتضى حكما فيه من التأكيد والتقوية ما يردعهم ، ويردع المقتدين بهم فى كل زمان ومكان ؛ لهذا تقدم المسند إليه " الله " على مسنده الفعلى " يستهزئ " بحيث غدا الحكم بالاستهزاء مسندا مرتين : مرة إلى المسند إليه المقدم ، وأخرى إلى الضمير المستتر فى الفعل . وما يسند من الأحكام مرتين أقوى وآكد – بداهة – مما يسند مرة واحدة .[3] قال الزمخشرى " ت نحو

١- البقرة : آية ٢٦٨ .

٢- البقرة : آية ١٥ .

٣- انظر :

- السكاكى ، مفتاح العلوم ، ص ٢٢١: ٢٢٢ ، بشرح نعيم زرزور ، ط : الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- د. تمام حسان ، البيان فى روائع غريب القرآن ١٣٥/٢ ، ط : الثانية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥٣٨ هـ " : " إن الله عز وجل هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ "[١] ، لكن هـذه الأبلغية تتضاءل لو جاءت الصياغة القرآنية هكذا : " يستهزئ الله بهم " .

وما لا تخطئ العين ملاحظته أن المسند إليه المثبت ، يتقدم على مـسنده الفعلـى المثبت ، تحقيقا لا لناتج دلالى واحد ، بل لأكثر من ناتج ، وشواهد ذلك عديـدة ، أذكـر منها – تمثيلا لا حصرا – قوله تعالى :

" والله يرزق من يشاء بغير حساب .."[٢]

" والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم " [٣]

" والله يقبض ويبصط .. " [٤]

" والله يضاعف لمن يشاء .."[٥].

إن بناء الجملة ، في الشواهد الأربعة الآنفة ، متماثل من حيث تقديم المسند إليـه المثبت ، على المساند الفعلية المثبتة ، وقد تعددت نواتجه الدلالية ؛ فهناك التلـذذ بـذكر المسند إليه ، مع ما يبعثه وجوده ، فى مقدمة الجمل ، من تفاؤل وسـكينة يمتلـئ بهمـا وجدان المتلقى الذى يغدو مهيئا لاستقبال ما يتعلق بالمسند إليه من أحكام .

هناك ناتج دلالى ثان يتمثل فى تقوية الأحكام وتأكيدها بسبب إسنادها مرتين : مرة إلى المسند إليه ، وأخرى إلى الضمائر المستترة فى كل فعل ، ومن ثم فإذا ذكـر الحكـم كان أشد ثبوتا ، وأنفى للشبهة ، وأمنع للشك ، وأدخل فى التحقيق ؛ فإن إعلامك الـشيء بغتة ليس كإعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له ؛ لأن ذلك يجرى مجرى تكرير الإعلام فى التأكيد والإحكام .[٦]

١- الزمخشري ، الكشاف ١٠٥/١ ، ط: الثانية ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ١٤٢١هـ .

٢- البقرة : آية ٢١٢ .

٣- البقرة : آية ٢١٣ .

٤- البقرة : آية ٢٤٥ .

٥- البقرة : آية ٢٦١ .

٦- انظر : عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص ١٥٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما آخر النواتج الدلالية فهو اختصاص المسند إليه بالرزق ، والهداية ، والقبض، والبسط ، والمضاعفة لمن يشاء من عباده . وليس صحيحا القول بأن إفادة الاختصاص تتحقق إذا تأخر المسند إليه فى الشواهد الأربعة ؛ فإن التأخير يعطى ناتجا دلاليا مغايرا ؛ إذ يجعل المعنى على الإخبار ، ولا يكون الاختصاص مستهدفا ؛ لأنه إنما قُصِدَ وأريد بالتقديم ، ومتى انتفى التقديم انتفى معه الاختصاص .

ولقد يترتب على الناتج الدلالى المستهدف أصلا من تقديم المسند إليه المثبت ، على مسنده الفعلى المثبت ، اتساق بين فواصل الآى ، يظهر ذلك فى مثل قوله تعالى : "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون "[١] .

فالجملة الحالية : " وهم يعلمون " تقدم فيها المسند إليه المثبت ، على مسنده الفعلى المثبت ، استهدافا لناتج دلالى بالدرجة الأولى ، ذلك الناتج هو تقوية الحكم وتأكيده ، وإنما احتاج الحكم إلى التقوية والتأكيد بسبب.ذلك الفريق من العلماء الذين يعرفون صحة ما جاء به الرسول – عليه الصلاة والسلام – كما يعرف الواحد منهم ولده ، ولكنهم يأبون إلا أن يكتموا الناس ما فى كتبهم من صفة النبى [٢] ، فاقتضى واقع حالهم أن يساق الكلام عنهم بطريقة فيها تقوية وتأكيد .

وبتأخير المسند " يعلمون " اتسقت الفاصلة النونية ، فى الآية الكريمة ، مع فاصلتين يسبقانها [٣] ، وفاصلة تليها .[٤]

واستهدافا للناتج الدلالى بالدرجة الأولى ، مع ما ترتب عليه من الاتساق بين فواصل الآى ، تقدم المسند إليه المثبت ، على مسنده الفعلى المثبت ، وذلك فى قوله

١- البقرة : آية ١٤٦ .

٢- انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ١٨٤/١ ، ط : الأولى ، مكتبة النور العلمية ، بيروت ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م .

٣- أعنى فاصلة الآيتين ١٤٤ : ١٤٥ .

٤- أعنى فاصلة الآية ١٤٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعالى: " أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون " [1].

والمعنى أن اليهود عقلوا التوراة ووعوها ، ثم حرفوها بأن جعلوا الحلال فيها حراما والحرام حلالا ، والحق فيها باطلا والباطل حقا ، فإذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله ، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب ؛ فهو فيه محق. وإذا جاءهم من يسألهم شيئا ليس فيه حق ولا رشوة أمروه بالحق .[2] وهم ينكرون التحريف ، وينكرون علمهم به ، فاقتضى إنكارهم توكيد الحكم " العلم " وتقويته بتقديم المسند إليه .

وإذ تقدم المسند إليه تأخر المسند ، فأسهم تأخيره فى اطراد الاتساق بين عشرين فاصلة نونية تسبقه [3] ، وثمانى وعشرين تليه [4] ، وهو اطراد يجعل المعنى ألصق بالذاكرة ، والتلقى فعلا ممزوجا بالبهجة .

وكما يتقدم المسند إليه المثبت ، على مسنده الفعلى المثبت ، يتقدم على مسنده الفعلى المنفى ، استهدافا لغايتين : دلالية ولفظية، نرى مثلا لذلك قوله تعالى :"ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون " [5].

والغاية الدلالية المستهدفة هى اختصاص الكافرين بعدم العقل ليكونوا عبرة لغيرهم ممن هم بالدواب السارحة أشكل ، ولكن الحكم لا يتعداهم إلى غيرهم ممن يعقلون أوامر الله ونواهيه .

والغاية اللفظية هى الاتساق بين الفواصل ؛ فالفاصلة " يعقلون " مبنية على النون،

١- البقرة : آية ٧٥ .

٢- انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ١/١١٠ .

٣- هى فواصل الآيات ٥٥ : ٧٤ .

٤- هى فواصل الآيات ٧٦ : ١٠٣ .

٥- البقرة : آية ١٧١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد اتسقت مع ثلاث فواصل نونية تسبقها [1] ، وفاصلة تليها .[2]

كذلك تقدم المسند إليه المثبت ، على مسنده الفعلى المنفى ، استهدافا لغايتين : دلالية ولفظية ، وذلك فى قوله تعالى : " كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون " [3] .

فالاختصاص هو الغاية الدلالية المستهدفة من قصر الحكم ، بعدم العلم ، على المأمورين بالجهاد متى استنفروا ، بغض النظر عن كراهتهم للقتال ، على أن الحكم لا يتعداهم إلى غيرهم من العجائز والحوامل والشيوخ وسواهم من الفئات التى لا تؤمر بقتال. ثم جاءت القرينة [4] : " والله يعلم " لتعزيز الناتج الدلالى المستهدف . ولو جاءت الصياغة القرآنية على النحو التالي : "والله يعلم ولا تعلمون " ، فسوف ننتهي إلى ناتج دلالى مغاير . والاتساق بين الفواصل هو الناتج اللفظى لتأخير المسند ، إذ اتسقت الفاصلة النونية " تعلمون " مع أخرى جاءت بعدها .[5]

أما إذا كان المسند إليه منفيا ، وتقدم على مسنده الفعلى المثبت ، فإن نواتجه تختلف من سياق إلى آخر ؛ ففى مثل قوله تعالى : " أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، فلا يخفف عنهم العذاب ، ولا هم ينصرون " [6] نجد الناتج الدلالى الذى يعطيه تقدم المسند إليه المسبوق بالنفى ، على مسنده الفعلى " ينصرون " ، هو اختصاص من اشتروا الدنيا بالآخرة – دون سواهم – بعدم النصر .

١- هى فواصل الآيات ١٦٨ : ١٧٠ .

٢- هى فاصلة الآية ١٧٢ .

٣- البقرة : آية ٢١٦ . ومثلها الآية : ٢٣٢ من السورة نفسها .

٤- القرينة هنا تعزز إفادة الاختصاص ، ولا تمنع إرادة المعنى الأصلى ، ومن ثم فهى مختلفة عن قرينة الجبر .

٥- هى فاصلة الآية ٢١٧ .

٦- البقرة : آية ٨٦ . وانظر شواهد أخرى جرت على هذا البناء ، وذلك فى سورة البقرة ، الآيات: ٤٧، ٤٨ ، ٦٢ ، ١١٢ ، ١٢٢ : ١٢٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والناتج اللفظى هو اطراد الاتساق بين تسع وأربعين فاصلة نونية؛ إذ اتسقت كلمة الفاصلة "ينصرون " مع إحدى وثلاثين فاصلة نونية تسبقها [١]، وسبع عشرة جاءت بعدها [٢] . وفى ظل ما يمتاز به حرف النون من غنة ، وما يسبقه من مدود ، تبحر المعانى إلى الوجدان محفوفة بالإيقاعات العذاب ، ويصبح التلقى فعلا ممتعا ، لا تشوبه شائبة من ملل برغم ارتفاع معدل الفواصل إلى تسع وأربعين .

وفى مثل قوله تعالى : " فمن اتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون "[٣]، نجد المسند إليه المنفى يتقدم على مسنده الفعلى ، استهدافا لغايتين : دلالية ولفظية ؛ أما الدلالية فهى نفى الحكم " الحزن " عن الهداة متى حضرهم الموت [٤] ؛ لاستبشارهم بلقاء ربهم ، وإثباته – أى الحكم – على الكافرين وعصاة المؤمنين الذين تسود وجوههم إذا حضرهم الموت ؛ وذلك لسوء أعمالهم . وأما الغاية اللفظية فهى اتساق الفاصلة النونية مع عشر فواصل جاءت بعدها[٥] .

وتظهر هيمنة السياق على الناتج الدلالى حين نجد الجمل الخبرية تتماثل بناء وتتخالف نواتجها الدلالية ، ولتأكيد ما سبق نقف بإزاء شاهدين : أحدهما قوله تعالى : " وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم، وما هم بخارجين من النار "[٦].

وسوف نجد الاختصاص ناتجا دلاليا استهدفه تقدم المسند إليه المنفى ، على مسنده الاسمى المشتق " خارجين " ، لكن الخلود فى النار لا يتعدى المحكوم عليهم إلى عصاة المؤمنين ؛ ذلك أن المؤمن العاصى يخرج من النار بشفاعة الشافعين . هذا شاهد .

١- هى فواصل الآيات ٥٥ : ٨٥ .

٢- هى فواصل الآيات ٨٧ : ١٠٣ .

٣- البقرة : آية ٣٨ .

٤- انظر : الشوكانى ، فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ٩٣/١ ، ط : الثانية، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .

٥- هى فواصل الآيات ٣٩ : ٤٨ .

٦- البقرة : آية ١٦٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والآخر قوله تعالى : " ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين " [1] . لا يصح عقلا ونقلا أن يختص الله المنافقين من الأوس والخزرج بعدم الإيمان ؛ فإن ذلك يتنافى – من بعض الوجوه – مع عدل الله وسعة رحمته ، وإنما تقدم المسند إليه المنفى ، على مسنده الاسمى المشتق " مؤمنين " لتأكيد الحكم بعدم الإيمان عن منافقى الأوس والخزرج ، وبيان كذبهم فيما يزعمون ، وخصوصا أنهم أكدوا زعمهم الإيمان بتكرار الباء فى قولهم : " وباليوم الآخر " ، مع أنه كان بوسعهم أن يقولوا : "آمنا بالله واليوم الآخر " ، لكن هذه الباء عززت زعمهم الإيمان باليوم الآخر ، بحيث بدا وكأنه إيمان مستقل .[2] وهكذا نجد المسند إليه المنفى يتقدم على مسنده الاسمى المشتق ، ليفيد اختصاصا فى سياق ، وتأكيدا فى سياق آخر ، مما يقطع بأن العبرة بالسياق لا باتحاد الجمل من حيث البناء .

بل إن الجملة تتماثل بناء وكلمات وحروفا فتفيد فى سياق غير ما تفيده فى سياق آخر ، آية ذلك أننا لو نظرنا إلى جملة " ولا هم ينظرون " فى قوله تعالى : " إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون " [3] ، فسوف نجد الاختصاص هو الناتج الدلالى المستهدف من تقديم المسند إليه المنفى على مسنده الفعلى المثبت ؛ فالكفار مختصون بعدم الإمهال ، مستحقون العذاب المتواصل ، لكن الحكم بعدم الإنظار لا يتعداهم إلى عصاة المؤمنين ، الذين يمهلون ، وتدركهم شفاعة الشافعين .

ولو نظرنا إلى جملة " ولا هم ينظرون " فى قوله تعالى : " لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ، ولا عن ظهورهم ، ولا هم ينصرون ، بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون " [4]، فلن نجد فى تقديم المسند إليه المنفى "ولا هم ينظرون " ما يفيد الاختصاص ؛ فإن الساعة متى قامت لا تمهل مؤمناً أو كافراً ،

١- البقرة : آية ٨ .

٢- انظر : د. محمد محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ص ١٨١ : ١٨٢ .

٣- البقرة : آية ١٦١ : ١٦٢ .

٤- الأنبياء : آية ٣٨ : ٣٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإنما أفاد تقديم المسند إليه المنفى ، على مسنده الفعلى المثبت ، تقوية الحكم وتأكيد أن الكافرين لا يمهلون فى تلك اللحظات كما أمهلوا فى الدنيا حين استعجلوا وقالوا : متى هذا الوعد [١].

إن الجملة التى أفادت الاختصاص هى بعينها التى أفادت تقوية وتأكيدا ، لم يختلف من حروفها حرف ، وإنما الذى اختلف هو السياق ، مما يؤكد أن الملفوظات المتماثلة لا يتأتى تحديد معناها بدقة إلا إذا عرفنا السياق الذى وردت فيه [٢].

تقديم المسند :

المسند إما أن يكون فعلا تاما ، أو اسم فعل ، أو خبرا للمبتدأ ، أو مصدرا ناب عن فعل الأمر ، أو ما كان أصله خبراً ؛ نحو أخبار كان وإن ، والمفعول الثانى للفعل ظن ، والمفعول الثالث للفعل رأى .

وإذ ننظر إلى تقديم المسند ، فى سورة البقرة ، نجده يستهدف نواتج دلالية ما كان لها أن تتحقق حال احتفاظه بأصالة موقعه . ويعد التخصيص من أبرز النواتج التى يستهدفها تقديم المسند ، يبدو ذلك فى قوله تعالى : " ولله المشرق والمغرب " [٣]. الجملة هنا اسمية ، والأصل فيها أن يتقدم المسند إليه ، ولا سيما أنه معرفة ، ولكن خولف الأصل لصالح الناتج الدلالى المستهدف وهو اختصاص الله وحده بملكية المشرق والمغرب . ولو ردت البنية إلى أصلها تكون : " المشرق والمغرب لله " ويكون الناتج غير الناتج المستهدف ، كما يظل إيقاع الملكية على شريك مع الله احتمالا واردا ، مع ما فى ذلك من فساد للمعنى والعقيدة .

ومما تقدم فيه المسند استهدافا للاختصاص قوله تعالى : " ولهم فيها أزواج مطهرة.. "[٤]. ومع أن النحاة يجيزون الابتداء بالنكرة المخصصة بالوصف ، إلا أن

١- انظر : د. محمد محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ض ١٧٩ .

٢- انظر : على آيت أوشان ، السياق والنص الشعرى : من البنية إلى القراءة ، ص ٣٩ ، ط : الأولى، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

٣- البقرة : آية ١١٥ . ومثل ذلك تخصيص المسند بالمسند إليه فى الآية ١٤٢ من السورة نفسها.

٤- البقرة : آية ٢٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصياغة القرآنية انحازت إلى الوظيفة البلاغية للغة حفاظا على الناتج الدلالى المستهدف. إن تخصيص المؤمنين بالأزواج المطهرة لا يتحقق لو صيغت الآية كالآتي : " أزواج مطهرة لهم فيها " ؛ لذلك لم يكن بد من العدول عما يجيزه النحو إلى ما يتطلبه الناتج الدلالى المستهدف .

ومن ذلك قوله تعالى : " ولهم فى الدنيا خزى .. "[١] ، والمعنى أن من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، وسعى فى خرابها ، اختصه الله بالخزى فى الدنيا ، وليس لهذا الناتج الدلالى أن يتحقق إلا بتقديم المسند ، ولو عاد المسند إلى أصل موقعه لأنتج غير المستهدف إنتاجه ، وأوهم أن " لهم " صفة للنكرة " خزى " .

ومنه قوله تعالى : " ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء " [٢] ، حيث تقدم المسند " عليك " وتأخر المسند إليه " هداهم " لغاية دلالية هى تخصيص الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، بعدم الهداية ؛ قال تعالى : " وما على الرسول إلا البلاغ المبين "[٣] . على الرسول البلاغ ، أما الهداية فليس مختصا بها ، والقرينة المعززة لذلك هى : " ولكن الله يهدى من يشاء " .

ومنه قوله تعالى : " ولنا أعمالنا ، ولكم أعمالكم " [٤] . الناتج الدلالى المستهدف هو تخصيص كل فريق بأعماله تخصيصا لا يدع للمشركين مجالا للتنصل من أعمالهم . ومع أن المسند إليه " أعمالنا – أعمالكم " معرفة ، وبه يصح الابتداء ، إلا أن القاعدة انتهكت لصالح الدلالة المستهدفة التى لا تحققها الدوال متى عادت إلى مواقعها الأصلية .

واحتراسا من الالتباس الدلالى تقدم المسند على المسند إليه فى قوله تعالى : "ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين "[٥]؛ ذلك أن احتفاظ المسند "لكم" بأصالة موقعه يوهم المتلقى بأنه صفة للنكرة "مستقر" ، على أساس أن الجمل وأشباهها بعد النكرات صفات،

١- البقرة : آية ١١٤ .
٢- البقرة : آية ٢٧٢ .
٣- النور : آية ٥٤ . العنكبوت : آية ١٨ .
٤- البقرة : آية ١٣٩ .
٥- البقرة : آية ٣٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن ثم يظل المتلقى منتظرا الخبر ، متوهما أنه لم يأت بعد . ومما يعزز أوهام المتلقي أن حاجة النكرة إلى الصفة أمس من حاجتها إلى الخبر [1]. فلا مفر إذن من تقديم المسند تحريرا للمتلقى من الأوهام ، وصيانة للناتج الدلالى المستهدف من الاضطراب .

ومن مقاصد تقديم المسند تشويق المتلقى إلى المسند إليه المتأخر ، يظهر ذلك فى قوله تعالى : " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب .. "[2]. الآية تأتى فى سياق الوعظ ، وإرادة التشويق تكثر فيما يوعظ به ويمدح . وإذ يجد المتلقى المسند " البر" متقدما تستحصد أشواقه إلى معرفة المسند إليه .

ومن ذلك قوله تعالى : " إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ،لآيات لقوم يعقلون.."[3]، فالمتلقى يجد المسند "فى خلق السماوات والأرض .. " متقدما ، فتثار أشواقه إلى معرفة المسند إليه " لآيات " . هنا نلاحظ أن الآية تأتى فى سياق الوعظ ، وتوجه المتلقى إلى نعم الله ودلائل قدرته ، ومن ثم فليس غريبا أن يكون للمتلقى أقوى حضور فى التشكيل البلاغى ، وإن لم يلغ حضوره القوى قصد المبدع إلى إثارة أشواقه لمعرفة المسند إليه ، لاسيما أن المسافة بعيدة بين موقع المسند وموقع المسند إليه ؛ قال المراغى : " إذا كان فى المسند المتقدم طول يشوق النفس إلى ذكر المسند إليه فيكون ذكره بعدئذ أوقع وأتم " [4].

تقديم المتعلقات :

المتعلقات هى المفعول به ، والجار ومجروره ، والظرف ، والحال ، وغير ذلك

١- انظر : د. درويش الجندى ، علم المعانى ، ص ٨٨ ، ظ : نهضة مصر ، القاهرة ، د – ت .

٢- البقرة : آية ١٧٧ . وتجدر الإشارة إلى أن قراءة حمزة وحفص هى التى تعطى الآية صلاحية الاستشهاد بها على تقديم المسند وتأخير المسند إليه . انظر : الشوكانى ، فتح القدير ٢١٩/١ .

٣- البقرة : آية ١٦٤ .

٤- أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة ، ص٩٨ ، هامش ١، ط: دار العلوم ، بيروت ، د– ت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من القيود . والأصل فيها أن تتأخر عن العوامل ، لكن هذا الأصل يُخَالَفُ قصدا إلى أهداف معنوية ولفظية يراد تحقيقها .

وإذ ننظر إلى المفعول به نجده يتقدم لا على الفعل فحسب ، بل على الفاعل ونائبه أيضا . ومما تقدم فيه المفعول على الفعل والفاعل قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون " [١]. وقد حقق تقدم المفعول به "إياه " على عامله ناتجا دلاليا هو تخصيص العبادة بالله ، وهو ناتج لا يحققه المفعول به حال بقائه في موقعه الأصلي . ولو جاءت الآية كالآتي : " إن كنتم تعبدون إياه " ، لكان التردد ، وإيقاع الحكم بالعبادة على غير الله ، احتمالين قائمين . ما سبق يؤكده قول الطوفى "ت نحو ٧١٦ هـ" : ".. أنك لو قدمت الفعل في "زيدا ضربت" مثلا ، فقلت : "ضربت" لبقى السامع مترددا فى عين المفعول ، لا يعلمها حتى تفرغ من التلفظ بالفعل، ثم تصرح به ، ولكنت مخيرا قبل تمام التلفظ بالفعل فى إيقاعه على من شئت . وإذا قدمت المفعول علم السامع عينه بمجرد ذكره قبل ذكر الفعل ، وامتنع اختيارك فى الإيقاع إلا عليه ، لتعين الفعل له بتقديمه .. "[٢].

وكما حقق تقدم المفعول على الفعل ناتجا دلاليا ، حقق تأخر المسند " تعبدون " ناتجا لفظيا تمثل فى اتساقه مع أربع فواصل نونية تسبقه .[٣]

واستهدافا لنواتج دلالية ولفظية تقدم المفعول على الفعل والفاعل ، فى قوله تعالى: " يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون " [٤] . والمعنى : لا ترهبوا إلا الله . وليس لهذا القصر أن يتحقق إلا بإزاحة المفعول به من موقعه الأصلى ، وتقديمه على عامله ، خلافا للقاعدة . ولو عاد المفعول إلى موقعه الأصلى لانتهينا إلى غير الناتج الدلالى المستهدف .

١- البقرة : آية ١٧٢ .

٢- الطوفى ، الأكسير ، ص ١٥٥ .

٣- هى فواصل الآيات ١٦٨ : ١٧١ .

٤- البقرة : آية ٤٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما تأخير العامل "فارهبون" فقد حقق ناتجا لفظيا هو الاتساق بين فواصل الآى؛ حيث اتسقت به الفاصلة النونية مع فاصلتين تسبقانها [١] ، وثمان لحقت بها [٢]. وبدهى أنه ما كان لهذا الاتساق أن يتحقق لو احتفظ المفعول بأصالة موقعه .

وخلافا لقانون الرتب المحفوظة تقدم المفعول على الفعل والفاعل فى قوله تعالى : " **ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا وإياى فاتقون** " [٣]. وإنما استهدف الانحراف عن القانون نواتج معنوية ولفظية ؛ أما الناتج المعنوى فهو تخصيص الاتقاء بالله وقصره عليه ، بحيث لا يشاركه فيه غيره . وأما الناتج اللفظى فهو اتساق كلمة الفاصلة " **فاتقون** " مع ثلاث فواصل تسبقها [٤]، وسبع لحقت بها [٥]. ولو ردت البنية إلى أصلها لأصبحت الجملة القرآنية هكذا : " **فاتقوا إياي** " ومن ثم لم يعد هناك مجال للتخصيص أو الاتساق .

ومما تقدم فيه المفعول على الفعل والفاعل قوله تعالى : " **وظللنا عليكم الغمام ، وأنزلنا عليكم المن والسلوى ، كلوا من طيبات ما رزقناكم ، وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** "[٦]. يتجه الخطاب فى الآية الكريمة إلى اليهود ، ويعدد جانبا من نعم الله عليهم ، ويشير إلى استعصائهم على طاعة الله برغم ما شاهدوه من معجزات إنزال المن والسلوى ، وهو استعصاء لم يظلموا به سوى أنفسهم . وفى تقديم المفعول على الفعل والفاعل مزيد اختصاص بكونهم هم ظالمى أنفسهم ولم يظلمهم أحد . وجاء النفى : " **وما ظلمونا** " تعزيزا للاختصاص بوصفه الناتج الدلالى المستهدف ؛ قال الألوسى " ت نحو ١٢٧٠هـ" : "وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذى يقتضيه النفى السابق ، وفيه ضرب تهكم بهم .."[٧] . وفى الآية استهزاء ضمنى بالعقل اليهودى ؛ فليس لعاقل أن يظلم نفسه .

١- أعنى فاصلة الآيتين ٣٨ : ٣٩ .

٢- أعنى فواصل الآيات ٤١ : ٤٨ .

٣- البقرة : آية ٤١ .

٤- هى فواصل الآيات ٣٨ : ٤٠ .

٥- هى فواصل الآيات ٤٢ : ٤٨ .

٦- البقرة : آية ٥٧ .

٧- الألوسى ، روح المعانى ١/٢٦٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا يظلم نفسه سوى سفيه . هذا الاستهزاء مبثوث فى أحشاء الصياغة التى قالته دون أن تلفظ به .

وبتقدم المفعول به " أنفسهم " تأخر الفعل والفاعل " يظلمون " فاتسقت – من ثم – الفاصلة النونية مع اثنتين يسبقانها [١] ، وست وأربعين فاصلة تأتى بعدها [٢]. ولولا التحريك الأفقى للدوال تقديما وتأخيرا ما كان للناتجين : المعنوى واللفظى أن يتحققا .

أيضا تقدم المفعول على الفعل والفاعل فى قوله تعالى : " .. أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم ، وفريقا تقتلون " [٣] . المفعول فى الآية تقدم مرتين دون أن يفيد اختصاصا . والمقدم فى الآية هم الأنبياء الذين أرسلوا إلى بنى إسرائيل ، وكانوا عرضة للتكذيب والقتل . ولجدارتهم بالاهتمام تقدموا على الحكم تكذيبا كان أو قتلا . وفى تقديمهم – أيضا– ما يثير أشواق المتلقى إلى معرفة مصائرهم [٤] ، وما ألم بهم من مكائد اليهود وحماقاتهم ، وما كان لهذا الناتج المعنوى أن يتحقق لو جاء المفعول به فى موقعه الأصلي ، وغدت الصياغة : " كذبتم فريقا ، وقتلتم فريقا " .

وهناك ناتج لفظى حققه تأخير المسند " تقتلون " ، وهو اطراد الاتساق بين فواصل تسع وأربعين آية ، منها اثنتان وثلاثون فاصلة تسبق الفعل تقتلون [٥]، وست عشر جاءت بعده [٦] . ومما تجدر ملاحظته أن الصياغة القرآنية عدلت ، فى كلمة الفاصلة، عن الماضى إلى المضارع ، وذلك من قبيل الحرص على اطراد الاتساق ، والإيحاء بدوام التجدد والاستمرار فى القتل . كان المتوقع أن تكون نهاية الآية : " وفريقا قتلتم " حتى تتواءم مع : "ففريقا كذبتم" ، لكن كلمة الفاصلة كسرت المتوقع حرصا على تواتر فاصلة النون المسبوقة بالمدود ، والتى تشيع مناخا صوتيا يساعد على ترسيخ المعانى فى

١- أعنى فاصلة الآيتين ٥٥: ٥٦ .

٢- أعنى فواصل الآيات ٥٨ : ١٠٣ .

٣- البقرة : آية ٨٧ .

٤- انظر : الألوسي ، روح المعاني ٣١٨/١ .

٥- هى فواصل الآيات ٥٥ : ٨٦ .

٦- هى فواصل الآيات ٨٨ : ١٠٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذواكر ، ويدعم الرغبة فى مزيد من التلقى الممتع . **هذه ملاحظة .**

والأخرى هي أن إثارة أشواق المتلقى ، وإشباع حاجاته الجمالية ، لهما فى التشكيل البلاغى أقوى حضور ؛ فالمتلقى ، بوصفه أحد طرفى الاتصال ، يهيمن على الخطاب بدرجة كبيرة ، ولكنها هيمنة مقصودة من قبل المبدع .

ومما تقدم فيه المفعول ، على الفعل وفاعله ، قوله تعالى: "ومما رزقناهم ينفقون "[١] وإنما تقدم المفعول لئلا يتوهم ، بتقدير تأخيره ، جواز الإنفاق مما ليس بمملوك . وطبقا للطوفى فلا يصح التعلل بأن منطق العقل وقواعد الشرع يمنعان التصرف فى غير المملوك ؛ لأن الكلام ينبغى أن يكون مفيدا بليغا بذاته ، لا بالنظر إلى دليل خارجى ، فنحن استفدنا هذا المعنى من هذا اللفظ ، أما منطق العقل وقواعد الشرع فهما أدلة خارجية تؤكد المعنى [٢].

وعزز تأخير الفعل وفاعله : " ينفقون " الاتساق بين خمس فواصل نونية ، منها فاصلة تسبق الفعل وفاعله [٣]، وثلاث تلحق بهما [٤] .

ولمراعاة حال المتكلم تقدم المفعول على الفاعل فى قوله تعالى : " أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ، قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها "[٥]. بيت المقدس هو القرية المشار إليها فى الآية الكريمة ، وكانت قد تحولت – حين مرَّ عليها العزيز[٦]– إلى أطلال خربة بعد أن دمرها بختنصر – ملك بابل – وجنوده [٧] تدميرا لا عهد للناس

١– البقرة : آية ٣ .

٢– انظر : الطوفى ، الأكسير ، ص ١٥٥ .

٣– هى فاصلة الآية ٢ .

٤– هى فواصل الآيات ٤ : ٦ .

٥– البقرة : آية ٢٥٩ .

٦– وهو الرأى المشهور عند الجمهور . وذهب جماعة من العلماء إلى أن المار على القرية هو الخضر عليه السلام . انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٢٩٧/١ . الشوكانى ، فتح القدير ٣٥٦/١ .

٧– انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٢٩٧/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

به ، مما أورث العزيز روعا وريبا فى تلك القدرة التى يمكن أن تعيدها إلى ما كانت عليه من العمران ، ومن هنا تقدم المفعول " هذه " ليتناسب مع حال العزير وما يستبد به من روع وشك [١]. وهذا من خصائص البلاغة القرآنية التى تستطيع أن تكشف ، بوسائلها التعبيرية ، عن أدق الخلجات ، وأعمق الأسرار القابعة فى النفس الإنسانية [٢]. ولو ردت البنية إلى أصلها ، لأصبحت الصياغة كالآتي : " أنى يحيى الله هذه " ومن ثم لم يعد هناك فرق بين تخريب مألوف في الحروب ، وتخريب لا عهد للناس به ، وسوف يغدو ضئيلا إحساس العزير بفداحة الخطب، وحجم الشك فى إمكانية إعمار القرية مرة أخرى .

ومما تقدم فيه المفعول ، على الفاعل ، قوله تعالى : " أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ... " [٣] ، وإنما تقدم المفعول "**يعقوب**" على الفاعل "**الموت**" ؛ لأن مكانة يعقوب – عليه السلام – فى سياق الآية تجعله بالتقديم أجدر [٤] ، ولأن الساعة ، التى هى محط الفائدة ، تحتم أن يكون يعقوب قادرا على القيام بدور الموصى ؛ حتى تبرأ وصيته من القدح فى صحتها .

ولو ردت البنية إلى أصلها ، فسوف تصبح الجملة : " أم كنتم شهداء إذ حضر الموت يعقوب " وسوف يكون الناتج واحداً من أمرين : غلبة سكرة الموت على يعقوب ، مما يجعله عرضته للتخليط ، ويفقده أهلية الموصي . **هذا أمر** .

والآخر : الموت المؤكد الذى يقطع صلة يعقوب بالحياة ، والذى يلغى كل مجال للوصية ، وأى وجود للموصي [٥].

١- وهذا واضح بدلالة الاستفهام على الاستبعاد فى قوله تعالى : " أنى يحيى هذه الله ؟ " .

٢- انظر : د. محمد محمد أبو موسى ، التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الحكيم ١/١٤٦ ، ط: الأولى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

٣- البقرة : آية ١٣٣ .

٤- انظر : الرازى ، نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز ،ص ٣١٦ ، تحقيق : د. بكرى شيخ أمين ، ط: الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

٥- انظر : د. عبد العظيم المطعنى ، التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الحكيم ١/١٠٥ : ١٠٦ ، ط: الأولى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما يعنيني تأكيده هو أن تقدم المفعول به حقق إلى جانب الاختصاص ، فوائد دلالية أخرى ؛ كالاهتمام بالمقدم ، وتشويق السامع ، وعدم الإخلال بالمعنى ، ومراعاة حال المتكلم ، هذه الفوائد تُصَوِّبُ ما ذهب إليه العلوي من أن " المفعول إذا تقدم لزم الاختصاص "[١]. حقا إن الاختصاص هو الفائدة الغالبة على تقدم المفعول ، ولكن كونها غالبة شيء ، وكونها لازمة شيء آخر .

وفضلا عن الفوائد الدلالية التي حققها – إلى جانب الاختصاص – تقديم المفعول به ، هناك فوائد لفظية تتمثل في الاتساق بين فواصل الآى ، وهي فوائد لا يمكن إغفالها أو التقليل من جدواها لا في التمكين للمعنى وتعزيز أثره في نفس المتلقي فحسب ، بل في جعل التلقي فعلا بهيجًا .

أما تقديم الجار والمجرور فله فى سورة البقرة صورتان : إحداهما أن يكون فى كلام منفى ؛ نحو قوله تعالى : " ذلك الكتاب لا ريب فيه " [٢]. وهنا يكون الناتج الدلالى مطلق النفى لما يزعمه الكفار ، عن القرآن الكريم ، من ريب [٣]. ويرى عبد القاهر أن قوله تعالى : " لا ريب فيه " بيان وتوكيد وتحقيق لقوله : " ذلك الكتاب " ، وزيادة تثبيت له ، وبمنزلة أن تقول : " هو ذلك الكتاب ، هو ذلك الكتاب " ، فتعيده مرة ثانية لتثبيته ، وليس يثبت الخبر غير الخبر [٤].

ولو تقدم الجار ومجروره ، وأصبحت الجملة القرآنية : " لا فيه ريب " فسوف تعطي ناتجا دلاليا غير المستهدف ؛ إذ ينتفي الريب عن القرآن الكريم ، ولا ينتفي عن الكتب السماوية الأخرى [٥].هذه صورة .

١- العلوى ، الطراز ٦٦/٢ .

٢- البقرة : آية ٢ .

٣- انظر : ابن النقيب ، مقدمة تفسير ابن النقيب ، ص ١٦٩ .

٤- انظر : عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص ٢٢٧ . وبين ابن الأثير والطوفى خلاف حول دلالة تأخر الجار والمجرور فى قوله تعالى : " لا ريب فيه " ، ودلالة تقديمه فى قوله تعالى : " لا فيها غول ". لمزيد من التفاصيل انظر : ابن الأثير ، الجامع الكبير ، ص ١١١ ، ط : المجمع العلمى العراقى ، بغداد ، د – ت . الطوفى ، الأكسير ، ص ١٥٨ : ١٥٩ .

٥- انظر : السكاكى ، مفتاح العلوم ، ص ٣٣٥ . الطيبى ، التبيان فى علم المعانى والبديع والبيان ، ص١٢٩ ، تحقيق : د. هادى عطية مطر ، ط: الأولى ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧ م . محمد مصطفى المراغى ، علوم البلاغة ، ص ٩٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والصورة الأخرى يأتى فيها الجار والمجرور فى المثبت من الكلام ، حيث يتقدم على رتبته تحقيقا لنواتج دلالية لا يحققها إذا احتفظ بموقعه الأصلى ، كما يحقق اتساقا بين فواصل الآى ، وهو ناتج لفظى له أثره الفعال فى حيوية التلقى وجعل المعنى أكثر رسوخا فى الذواكر ، لكن هذا الناتج ليس له صفة اللزوم .

ومما تقدم فيه الجار ومجروره ، على الفعل ونائبه ، استهدافا للناتج الدلالى وحده، قوله تعالى : " وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور " [1]؛ فالحركة الأفقية التى تقدم من خلالها الجار ومجروره عمقت الناتج الدلالى ؛ إذ جعلت الحكم " مرجع الأمور " مقتصرا على الله ، بحيث لم يعد هناك ثمة احتمال للتردد أو إيقاع الحكم على غير الله ، وكأننا قلنا: " لا مرجع للأمور إلا إلى الله " . ولا أثر للتقديم فى الفاصلة .

واستهدافا للناتج الدلالى وحده – أيضا – تقدم الجار والمجرور على الفعل ونائبه فى قوله تعالى : " واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون " [2]؛ فقصر الحشر على الله- بوصفه ناتجا دلاليا مستهدفا – لا يتأتى تحقيقه لو كانت الصياغة : " واتقوا الله واعلموا أنكم تحشرون إليه " ، وإنما يتحقق عن طريق إزاحة الجار والمجرور عن موقعه الأصلي ، وتقديمه على الفعل ونائبه . أما كون الناتج الدلالى هو المستهدف وحده فذلك راجع إلى أن كلمة "تحشرون " فاصلة مفردة ، وإن تواءمت مع شيوع فاصلة النون فى سورة البقرة .

وقد يستهدف تقديم الجار ومجروره الاختصاص ، ويكون فى تأخيره إخلال بالمعنى ، نرى مثلا لذلك قوله تعالى : " وما تفعلوا من شيء فإن الله به عليم " [3] ؛ فاختصاص الله بالعلم بأفعال عباده خيرا كانت أو شرا – مع ما يترتب على ذلك من عادل الجزاء – ناتج دلالى استهدفه تقديم الجار ومجروره على خبر الناسخ . أما لو احتفظ الجار ومجروره بأصالة موقعه ، وغدت الصياغة : "وما تفعلوا من شيء فإن الله عليم به" ، فسوف ينتفي الاختصاص ، ويختل المعنى ؛ لأن المتلقى سوف يتوهم ، فى هذه الحال ،

١- البقرة : آية ٢١٠ .

٢- البقرة : آية ٢٠٣ . وانظر : آية ٢٨ ، ٢٤٥ من السورة نفسها .

٣- البقرة : آية ٢١٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن الجار ومجروره صفة للخبر النكرة . ودرءا لهذا التوهم ، وتحقيقا للاختصاص – فى آن – لم يكن بد من تقديم الجار والمجرور على خبر الناسخ . ولا علاقة للفاصلة بشيء مما تقدم ؛ لأن عليم فاصلة مفردة .

ولدفع الالتباس تقدم الجار والمجرور على المفعول به فى قوله تعالى : " وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم " [1]. الالتباس المدفوع بتقديم الدوال على أصل مواقعها ، إنما يظهر جليا إذا ردت البنية إلى أصلها ، وأصبحت الصياغة : "وقاتلوا الذين يقاتلونكم فى سبيل الله "؛ إذ يغدو المعنى ملبسا ، والمتلقى حائرا لا يدرى أى الطائفتين تقاتل فى سبيل الله ، وأيهما تقاتل فى سبيل الباطل ، ومن ثم يتعذر عليه الامتثال لأمر الله بالقتال . وإنقاذا للمعنى من الالتباس ، وللمتلقى من الحيرة ، لم يكن بد من تقديم " فى سبيل الله " على المفعول به . هنا يبدو بوضوح أن البلاغة القرآنية تراعى أحوال المخاطبين ، وتنحاز إلى ما يصح به المعنى حتى لو انتهكت قانون الرتب المحفوظة .

وقد يجتمع فى تقديم الجار والمجرور على المفعول به أكثر من ناتج دلالى ، على نحو ما يظهر فى قوله تعالى : " فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم " [2]؛ فاختصاص المفعول به بما تقدم عليه ناتج دلالى استهدفه تقديم " من ربه " على " كلمات " . وطمأنة آدم – عليه السلام – إلى أن الله تقبل توبته ناتج آخر استهدفه تقديم الجار والمجرور . ولو ردت البنية إلى أصلها ، وتحولت الصياغة إلى : "فتلقى آدم كلمات من ربه" فسوف ينتفى الاختصاص ، ولن يكون الكلام ملائما تَلَهُّفَ آدم على ما يطمئنه إلى قبول توبته .

وتعجيلا بالمسرة تقدم الجار والمجرور على المفعول به فى قوله تعالى : " وأرسلنا فيكم رسولا منكم .. " [3]. وذهب الألوسى إلى أن تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح "رسولا " استهدف التعجيل بإدخال السرور فى نفوس المخاطبين [4].

١- البقرة : آية ١٩٠ .

٢- البقرة : آية ٣٧ .

٣- البقرة : آية ١٥١ .

٤- انظر : الألوسى ، روح المعانى ١٨/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفضلاً عما سبق فإن احتفاظ الجار والمجرور بموقعه الأصلى يفقد الصياغة سلاستها، فلو كانت الصياغة : " وأرسلنا رسولا فيكم منكم " لغدا الكلام عاريا من الفصاحة، وأصابه شيء من التعقيد بسبب تتابع الجار والمجرور " فيكم منكم " .

وللاهتمام بالمقدم ، وإيلائه أكبر قدر من العناية ، تقدم الجار والمجرور على المصدر الذى ينوب عن الفعل الأمر فى قوله تعالى : " لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا .. " [1]. فليس هناك من هو أهم بالرعاية من الوالدين ، ولا من هو أجدر منهم بإحسان الأبناء . هنا تجدر الإشارة إلى أن إحسان الأبناء لا يمكن قصره على الآباء، بدليل أن الآية وجهت إلى فئات أخرى تستحق الإحسان غير الوالدين .

وترى الجار والمجرور يتكرر داخل الآية الواحدة ، فيحتفظ بأصالة موقعه مرة، ويتقدم على عامله مرة أخرى ، يظهر ذلك فى قوله تعالى : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا .. "[2]؛ فالجار والمجرور " على الناس " جاء تاليا لشبه الفعل " شهداء " ؛ لأن أتباع النبى ، عليه الصلاة والسلام ، مكلفون بإبلاغ رسالة الله إلى الناس ؛ ليشهدوا عليهم بالإبلاغ يوم القيامة . وليست شهادتهم ، بعد الإبلاغ ، خاصة بأناس دون آخرين ؛ فإن الخطاب لعموم المؤمنين ، والمطلوب تبليغهم عموم غير المؤمنين ، لا خصوص فريق منهم [3].

أما الجار والمجرور " عليكم " فقد تقدم على عامله " شهيدا " لهدف دلالى هو الاختصاص ، بمعنى اختصاصهم بشهادة الرسول عليهم [4] . إن احتفاظ الجار والمجرور "على الناس "بموقعه الأصلى ، ثم تقديمه فى : " ليكون الرسول عليكم شهيدا " يؤكد أن التحريك الأفقى للدوال ؛ بالتقديم والتأخير، لا يتم اعتباطا ، وإنما هو محكوم بمقاصد يراد تحقيقها ، فإذا انتفى المقصد احتفظت الدوال بأصالة مواقعها ، وفى هذا أبلغ رد على من

١- البقرة : آية ٨٣ .

٢- البقرة : آية ١٤٣ .

٣- انظر : السكاكى ، مفتاح العلوم ، ص ٢٣٤ .

٤- انظر : السكاكى ، مفتاح العلوم ، ص ٢٣٤ . الشوكانى ، فتح القدير ١٩٢/١ . د. محمد محمد أبو موسى ، بلاغة التراكيب ، ص ١٣٣ : ١٣٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يدعون أن التقديم وعدمه سواء .

ولقد تقع عملية التحريك الأفقى للدوال ، بالتقديم والتأخير ، فى نهاية الآية ، وفى هذه الحال يغلب أن يكون الناتج المستهدف دلاليا ، ولفظيا ، نرى مثلا لذلك قوله تعالى : " والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون " [١]؛ فالجار والمجرور تقدم على الفعل وفاعله للإشارة إلى أن إيقانهم مقصور على حقيقة الآخرة لا يتعداها إلى خلاف حقيقتها مما يزعمه اليهود -مثلا- حيث قالوا : " لن يدخل الجنة إلا من كان هودا .." [٢] ، كما قالوا أيضا : " ولن تمسنا النار إلا أياما معدودة.."[٣]، وذكر الزمخشري " ت نحو ٥٣٨ هـ " ــ ووافقه السكاكي "ت نحو ٦٢٦ هـ " ، والسيوطي " ت نحو ٩١١ هـ" ــ أن تقديم " **الآخرة** " وبناء " **يوقنون** " على " هم " فيه تعريض بأهل الكتاب وما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته ، وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان ، وأن اليقين ما عليه من أمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك [٤]. هذا عن الناتج الدلالي .

وبتأخير الفعل وفاعله "**يوقنون**" تحقق الناتج اللفظى المستهدف ؛ إذ اتسقت كلمة الفاصلة مع فاصلتين تسبقانها [٥]، واثنتين تلحقان بها [٦] . ولا يتأتى لهذا الاتساق أن يتحقق لو رُدَّت البنية إلى أصلها ، وغدت الجملة : " **يوقنون بالآخرة** " .

كذلك يقع التقديم والتأخير فى نهاية الآية ، وذلك فى قوله تعالى : " صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون "[٧]، وقد ترتب على وقوعه فى نهاية الآية

١- البقرة : آية ٤ .

٢- البقرة : آية ١١١ .

٣- البقرة : آية ٨٠ . وانظر : الألوسى ، روح المعانى ١٢٣/١ .

٤- انظر : الزمخشرى ، الكشاف ٢٣/١ . السكاكى ، مفتاح العلوم ، ص ٢٣٤ . السيوطى ، الإتقان فى علوم القرآن ١٥٨/٣ : ١٥٩ .

٥- أعنى فاصلة الآيتين : ٢ ، ٣ .

٦- أعنى فاصلة الآيتين : ٥ ، ٦ .

٧- البقرة : آية ١٣٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ناتجان : دلالى ولفظى ؛ أما الدلالى فهو قصر العبادة على الله سبحانه وتعالى حتى لكأننا نقول : " لا نعبد إلا الله " . هذا القصر لا يمكن تحقيقه لو احتفظ الجار والمجرور بموقعه الأصلي ، وغدت الصياغة : " ونحن عابدون له " ، بل إن الجار والمجرور لو احتفظ بموقعه الأصلى لأوهم المتلقى بأنه صفة للنكرة " عابدون " . وأما الناتج اللفظى فقد نشأ عن تأخير الخبر الذى مهد بدوره لاتساق ثلاث فواصل نونية جاءت بعده[1]. ما يعنينى تأكيده أن تقديم الجار ومجروره وتأخير الخبر استهدف بالدرجة الأولى ضبط الدلالة وتحرير المتلقى من الأوهام ، ثم جاء الاتساق بين الفواصل ثمرة للمستهدف الدلالى .

وفي نهاية الآية تقدم الجار والمجرور على مكانهما فى التركيب برغم أن المبتدأ معرفة ، وذلك في قوله تعالى : " غفرانك ربنا وإليك المصير " [2]؛ لأن الناتج الدلالى المستهدف هو تحديد الجهة التي يكون إليها المصير ، والنفى الضمنى لوجود أية جهة غيرها . كما أن الناتج اللفظي المستهدف هو الاتساق بين الفواصل ؛ حيث اتسقت الفاصلة الرائية " المصير " مع الفاصلة " قدير " [3] ، وكلا الناتجين لا يتحقق إلا بتقديم الجار والمجرور وتأخير الخبر .

ومن ذلك قوله تعالى : " وللكافرين عذاب مهين " [4] حيث تقدم الجار والمجرور برغم أنه يصلح أن يكون فاصلة تسد مسد " مهين " ، وبرغم جواز الابتداء بالنكرة المخصصة بالوصف ، وإنما تقدم لناتج دلالي وهو مزيد اختصاص لهم بالعذاب المهين . هذا الناتج لا يتحقق لو كانت الصياغة : " **وعذاب مهين للكافرين** " .

ومن ذلك قوله تعالى : " بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون " [5] ، حيث تقدم الجار والمجرور " فيها " مرتين استهدافا لناتج دلالي هو

١- هى فواصل الآيات ١٣٩ : ١٤١ .

٢- البقرة : آية ٢٨٥ .

٣- وهى فاصلة الآية ٢٨٤ .

٤- البقرة : آية ٩٠ .

٥- البقرة : آية ٨١ ، ٨٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاختصاص بتحقيق موقع الخلود لكل فريق من الفريقين ، وتأكيد أنه لا مكان – فى الآخرة – لليهود ومن اقترف السيئات وغمرته الخطايا ، سوى النار . ولا مكان – فى الآخرة – للمؤمنين سوى الجنة . وإلى جانب هذا الناتج الدلالى هناك ناتج لفظى هو الاتساق بين الفواصل النونية ؛ فإن كلمة " خالدون " فى الآيتين ساعدت على اطراد الاتساق بين ست وعشرين فاصلة نونية تسبقها [١]، وإحدى وعشرين فاصلة تليها [٢]. ولو كانت الصياغة : " **هم خالدون فيها** " ما كان للاتساق أن يتحقق .

ولأهمية المقدم ورعاية الفاصلة يفصل بين الصفة وموصوفها ؛ كما فى قوله تعالى : " وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم "[٣] ؛ فإن " من ربكم " صفة شبه جملة ، و" عظيم " صفة مفردة فصلت عن موصوفها " بلاء " ؛ ذلك أن مصدر البلاء أهم من صفته ، وأن الصفة " عظيم " تحمل من المد المعتاد قبل حرف الفاصلة ما لا تحمله كلمة " ربكم " . ومع أن المألوف أن تتبع الصفة موصوفها بلا فاصل ، لكن لغة القرآن تكسر الإلف من أجل المعنى والإيقاع .

ولرعاية الفاصلة تتقدم الصفة على الصفة ، نرى مثلا لذلك قوله تعالى : " وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم " [٤] ؛ فالصفة رءوف تقدمت على الصفة رحيم ؛ لأن الرأفة رحمة وزيادة ، أو هى شدة الرحمة . إذن فقد قدم الأبلغ ، وكان يمكن أن تتقدم الرحمة ، وأن يكون التدرج فى ذكر الصفات من الأدنى إلى الأعلى ، ولكن ذلك يخل بالاتساق بين الفاصلة الميمية فى " **رحيم** " والفاصلة التى تسبقها " **تستقيم** " [٥] .

١- هى فواصل الآيات ٥٥ : ٨٠ .

٢- هى فواصل الآيات ٨٣ : ١٠٣ .

٣- البقرة : آية ٤٩ .

٤- البقرة : آية ١٤٣ .

٥- وهى فاصلة الآية ١٤٢ . وانظر : محمد على الصابونى ، صفوة التفاسير ١٠٢/١ ، ط : الخامسة ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النتائـــج :

١- فندت الدراسة ما أشاعه العتابى " ت نحو ٢٢٠ هـ" ، وابـن المـدبر " ت نحـو ٢٧٩هـ " ، وابن طباطبا " ت نحو ٣٢٢ هـ " ، والسيرافى " ت نحو ٣٦٨هـ" وابن سنان " ت نحو ٤٦٦ هـ" ، من أن التقديم والتأخير يضفى على نتاج الأدباء غثاثة ، ويؤدى إلى فساد الصورة وتغيير المعنى . وأكدت أن اللغـة المعياريـة لا تمكن الأديب من التعبير عن أرهف الأحاسيس وأدق الخلجات ، ومن ثم فلابد مـن خرق المعيار تعبيرا عما يتأبى التعبير عنه طبقا لقوانين اللغة المعياريـة . ولـئن أصابت الغثاثة بعض النصوص فذلك يرجع لا إلى الاستعانة بالتقديم والتأخير ، بل إلى تكلف الحس والعبارة ، وإلى عدم تمكن المبدع من لغته ، وعجزه عن تفجيـر أقصى طاقاتها الدلالية .

٢- انتهت الدراسة إلى بطلان القول بأن التقديم والتأخير من الضرائر التى ينبغى تنزيه القرآن الكريم عنها ؛ ذلك لأن التقديم والتأخير من سنن التعبير العربى الفصيح منذ الجاهلية ، وقد جاء القرآن الكريم مجاريا للعبارة العربية ، ومن ثم فإقصاء التقـديم والتأخير منه – مهما كانت دوافعه نبيلة – ينال من سمو بلاغته ، ويتناقض لا مع ما تقطع بصحته الشواهد القرآنية فحسب ، بل مع شهادات علماء لا تقل غيـرتهم الدينية عن غيرة أبى حيان ؛ مثل عكرمة "ت نحو ١٠٧ هـ" ، وقتادة " ت نحـو ١١٧ هـ" ، وابن قتيبة " ت نحو ٢٧٦ هـ" ، والطبرى " ت نحـو ٣١٠هـ" ، وعبد القاهر " ت نحو ٤٧١ هـ" ، والزمخشرى " ت نحو ٥٣٨ هـ" ، وابن تيمية " ت نحو ٧٢٨ هـ " ، وابن الصائغ " ت نحو ٨٧٦ هـ" ، والسيوطى " ت نحـو ٩١١ هـ " ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم .

٣- أظهرت الدراسة تهافت رأى ابن قتيبة ، وابن فارس " ت نحو ٣٩٥ هـ" حـول صلة التقديم والتأخير بالمجاز ، ورجحت ما ذهـب إليـه الزركـشى " ت نحـو ٧٩٤هـ" من أن التقديم والتأخير نقل من الرتب ، وليس نقلا مما وضع له اللفظ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى ما لم يوضع له . وعززت رأى الزركشى بأن المجاز لا يكون مجـــازا بغيـــر علاقة وقرينة ، فى حين أن تقديم المؤخر وتأخير المقدم لا يحتاج إلى علاقة ، وأن القرينة إذا وجدت فى بعض شواهده فإن وظيفتها مغايرة تماما لوظيفة القرينة فـــى التعبير المجازى .

٤- أثبت تحليل بعض شواهد الدراسة خطأ ما ذهب إليه العلوي "ت نحو ٧٤٥ هـــ" من أن المفعول به إذا تقدم لزم الاختصاص ؛ لأن إفادة الاختصاص إن تكن غالبـــة على تقدم المفعول به فليست لازمة ، ولأن المفعول به يتقـــدم اهتمامـــا بالمقـــدم ، وتشويقا للمتلقي [١] ، ومراعاة لحال المتكلم [٢] ، هذا إلى ما قد يترتب على تـــأخير عامله من اتساق بين فواصل بعض الآى .

٥- ومن تحليل بعض شواهد الدراسة اتضح أن الجمل الخبرية يمكن أن تتماثل هيئاتها التركيبية ، وتتخالف نواتجها الدلالية ؛ فالمسند إليه المنفى يتقدم على مسنده الاسمى فيفيد اختصاصا فى سياق ، وتأكيدا فى سياق آخر [٣] . والمسند إليه المنفى يتقـــدم على مسنده الفعلى فيفيد اختصاصا فى سياق ، وتقوية وتأكيدا فى ســـياق آخـــر ، برغم تماثل الجملتين الخبريتين حروفا وكلمات وبناء .[٤]وهذا يؤكد أن للسياق دورا بالغ الأهمية فى ضبط النواتج الدلالية .

٦- تؤكد شواهد الدراسة أهمية عدم التعجل في النظر إلى الشاهد والحكم على ناتجـــه الدلالي ، وأهمية عدم الاكتفاء بترديد أحكام الأوائل دون التقليل من قيمة جهودهم ، وأنه ليس من الدقة في شيء أن يقلص المستهدف من التقديم والتأخير فـــى نـــاتج دلالي واحد ، أو في ناتج دلالي واحد مع اتساق بين فواصل الآى ، وإنمـــا يمكـــن بالنظر المتأنى أن نستخلص من الشاهد الواحد أكثر من ناتج دلالي ؛ ففـــي قولـــه

١- انظر : ص ٢٤ من الدراسة .
٢- انظر : ص ٢٥ من الدراسة .
٣- انظر : ص ١٧: ١٨ من الدراسة .
٤- انظر : ص ١٨ : ١٩ من الدراسة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعالى : " والله يرزق من يشاء بغير حساب " [1] نجد تعجيلا بالمسرة ، وتلذذا بذكر الله ، فضلا عن تقوية الحكم بإسناده مرتين : مرة إلى المسند إليه ، وأخرى إلى الضمير المستتر فى الفعل " يرزق " . ونجد – أخيرا – اختصاص المسند إليه بالحكم .

٧- ظهر من تحليل شواهد الدراسة أن هناك نواتج دلالية يشترك في تحقيقها ركنا الجملة الخبرية والمتعلقات ؛ فالاختصاص يحققه تقديم المسند إليه ، والمسند ، والمفعول به ، والجار ومجروره . والاحتراس من الخلل الدلالي يشترك في تحقيقه تقديم المسند ، والمفعول به ، والجار ومجروره ، ولا يحققه المسند إليه المقدم . وتعجيل المسرة ناتج يحققه تقديم المسند إليه ، والجار ومجروره . وتشويق المتلقي يشترك في تحقيقه تقديم المسند ، والمفعول به .

٨- إن تحليل بعض شواهد الدراسة دل على أن فوائد التقديم والتأخير لا تنحصر فى الاهتمام ، والاختصاص ، ومراعاة نظم الكلام ، كما يظن ضياء الدين بن الأثير ، بل تتجاوز الثلاث الفوائد الآنفة إلى رفع الالتباس الدلالى ، وتقوية الحكم وتأكيده ، وتشويق المتلقي ، ومراعاة أحوال المتكلمين والمخاطبين .

٩- وأظهر التحليل الأسلوبي أن حضور المبدع والمتلقى ، بوصفهما طرفي الاتصال ، يتفاوت فى درجته من آية إلى أخرى ؛ ففى قوله تعالى : " الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء " يستأثر المتلقى بالحضور الأقوى ، على أساس أنه لا الفقر يجوز على الله ، ولا الفحشاء ، غير أن قوة حضور المتلقى لا تلغى قصد المبدع إلى إخافة المتلقى من الشيطان . وفى قوله تعالى : " والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم " يكون الحضور الأقوى للمبدع سبحانه وتعالى .

١٠- ودل تحليل شواهد الدراسة على أن الناتج الدلالي يعد أقوى البواعث على التحرك الأفقى للدوال – داخل الجمل الخبرية – بالتقديم والتأخير ، وأن الاتساق بين

١- البقرة : آية ٢١٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فواصل الآى – مع أهميته في ترسيخ المعنى ، وفي جعل التلقي مصحوبا باللذة – يغلب أن يكون ثمرة الناتج الدلالى المستهدف . وفى أحوال نـــادرة للغايـــة تكـــون رعاية الفاصلة هي الباعثة على تقديم المؤخر وتأخير المقدم .

ويبقى أن أشير إلى أن هذه الدراسة ليست سوى عمل بشري فيه ما في البشر من نقص ، أما الكمال فقد استأثر به الله . ويكفي أنني اجتهدت فإن أصبت فمن توفيـــق الله ، وإن كانت الأخرى فلي أجر المجتهد . هذا وبالله التوفيق .

تمت الدراسة .

****

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المصادر والمراجع

١ - **ابن الأثير " ت نحو ٦٣٧ هـ " :**

المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق : د. أحمد الحوفى ، د. بدوى طبانة ، ط : نهضة مصر ، القاهرة د - ت .

٢- **ابن الأثير " ت نحو ٦٣٧ هـ " :**

الجامع الكبير ، ط : المجمع العلمى العراقى ، بغداد .

٣- **ابن العربى " ت نحو ٤٢٣ هـ " :**

أحكام القرآن ، تحقيق : على محمد البجاوى ، ط : عيسى البابى الحلبى ، القاهرة ، د- ت .

٤- **ابن المدبر " ت نحو ٢٧٩ هـ " :**

الرسالة العذراء " ضمن كتاب رسائل البلغاء لمحمد كرد على ، ط : الثالثة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٦ م .

٥- **ابن النقيب " ت نحو ٦٩٨ هـ " :**

مقدمة تفسير ابن النقيب ، تحقيق : د. زكريا سعيد على ، ط : الأولى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د - ت .

٦- **ابن تيمية " ت نحو ٧٢٨ هـ " :**

مجموع الفتاوى ، تحقيق : عبد الرحيم بن قاسم وابنه محمد ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، د - ت .

٧- **ابن جنى " ت نحو ٣٩٢ هـ " :**

الخصائص ، ط : الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، العدد ١٤٧ ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٨- **ابن سنان " ت نحو ٤٦٦ هـ " :**

سر الفصاحة ، ط: الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٩- **ابن طباطبا " ت نحو ٣٢٢ هـ " :**

عيار الشعر ، تحقيق : د. محمد زغلول سلام ، ط : منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د - ت .

١٠- **ابن فارس " ت نحو ٣٩٥ هـ " :**

الصاحبى فى فقه اللغة ، تحقيق : مصطفى الشريمى ، ط: مؤسسة بدران ، بيروت ، ١٩٦٣ م .

١١- **ابن قتيبة " ت نحو ٢٧٦ هـ " :**

تأويل مشكل القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، ط : الثانية ، دار التراث ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

١٢- **ابن كثير " ت نحو ٧٨٤ هـ " :**

تفسير القرآن العظيم ، ط : الأولى ، مكتبة النور العلمية ، بيروت ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .

١٣- **أبو حيان " ت نحو ٧٤٥ هـ " :**

البحر المحيط ، ط : مطابع النصر الحديثة ، الرياض ، د - ت .

١٤- **أبو عبيدة " ت نحو ٢١٠هـ " :**

مجاز القرآن ، تحقيق : د. محمد فؤاد سزكين ، ط : الخانجي ، القاهرة ، د ـ ت .

١٥- **أبو هلال العسكري " ت نحو ٣٩٥ هـ " :**

الصناعتين : الكتابة والشعر ، تحقيق : د. مفيد قميحة ، ط : الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٦- أحمد مصطفى المراغى :
علوم البلاغة ، ط: دار القلم ، بيروت ، د – ت .

١٧- الألوسى " ت نحو ١٢٧٠ هـ " :
روح المعانى ، ط : دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ١٩٩٩ م .

١٨- الرازى " ت نحو ٦٠٦ هـ " :
نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز ، تحقيق : د. بكرى شيخ أمين ، ط : الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

١٩- الزركشى " ت نحو ٧٩٤ هـ " :
البرهان فى علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط : الثانية ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، د – ت .

٢٠- الزمخشرى " ت نحو ٥٣٨ هـ " :
الكشاف ، ط : الثانية ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ١٤٢١ هـ .

٢١- السكاكى " ت نحو ٦٢٦ هـ " :
مفتاح العلوم ، شرح نعيم زرزور ، ط : الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

٢٢- السيرافى " ت نحو ٣٦٨ هـ " :
ضرورة الشعر ، تحقيق : د. رمضان عبد التواب ، ط : الأولى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .

٢٣- السيوطى " ت نحو ٩١١ هـ " :
الإتقان فى علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط: المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٤- **الشوكانى " ت نحو ١٢٥٠ هـ " :**

فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ، ط : الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

٢٥- **الطوفى " ت نحو ٧١٦ هـ " :**

الأكسير فى علم التفسير ، تحقيق : د. عبد القادر حسين ، ط : مكتبة الآداب ، القاهرة ، د - ت .

٢٦- **الطيبى " ت نحو ٧٤٣ هـ " :**

التبيان فى علم المعانى والبديع والبيان ، تحقيق : د. هادى عطية مطر ، ط: الأولى ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م.

٢٧- **العلوى : ت نحو ٧٤٥ هـ " :**

الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ،تحقيق: د. عبد الحميد هنداوى ، ط : الأولى ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م .

٢٨- **المرزبانى " ت نحو ٣٨٤ هـ " :**

الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء ، تحقيق : على محمد البجاوى ، ط : دار الفكر العربى ، القاهرة ، د - ت .

٢٩- **تمام حسان " الدكتور " :**

البيان فى روائع غريب القرآن ، ط : الثانية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م .

٣٠- **توفيق الفيل " الدكتور " :**

بلاغة التراكيب ، ط: مكتبة الآداب ، القاهرة ، د - ت .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣١- **خيرة حمر العين " الدكتورة " :**

شعرية الانزياح : دراسة فى جماليات العدول ، ط : الأولى ، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ، إربد ، ٢٠٠١ م .

٣٢- **درويش الجندى " الدكتور " :**

علم المعانى ، ط : نهضة مصر ، القاهرة ، د – ت .

٣٣- **عبد الحكيم راضى " الدكتور " :**

نظرية اللغة فى النقد العربى ، ط : الخانجى ، القاهرة ، د – ت .

٣٤- **عبد العظيم المطعنى " الدكتور " :**

التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الحكيم ، ط : الأولى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

٣٥- **عبد القاهر الجرجانى " ت نحو ٤٧١ هـ " :**

دلائل الإعجاز ، تحقيق : محمود شاكر ، ط : المدنى ، القاهرة ، د – ت .

٣٦- **على آيت أوشان :**

السياق والنص الشعرى : من البنية إلى القراءة ، ط : الأولى ، مطبعة النجاح الدار البيضاء ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .

٣٧- **محمد عبد المطلب " الدكتور " :**

البلاغة العربية قراءة أخرى ، ط: الأولى ، لونجمان ، القاهرة ، ١٩٩٧م .

٣٨- **محمد عبد المطلب " الدكتور " :**

البلاغة والأسلوبية ، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

٣٩- **محمد على الصابونى :**

صفوة التفاسير ،ط:الخامسة ،دار القرآن الكريم،بيروت ،١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤٠- محمد محمد أبو موسى ' الدكتور ' :

دلالات التراكيب ، ط: الثانية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٤١- منير سلطان ' الدكتور ' :

بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، ط : منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د-ت .

.....

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner